حركة القوميين العرب و مراحل تطورها الأيديولوجي

الدكتورة نضال سليمان الامام
استاذ مساعد في الجامعة اللبنانية الدولية LIU

المقدمة:

تأسست حركة القوميين العرب وسط مجموعة من الطلاب العرب في الجامعة الأميركية في بيروت، الناشطين في **كتائب الفداء العربي السرية**، وذلك عقب نكبة فلسطين ١٩٤٨ التي سلطت الأضواء على العجز والتفكك العربي، ففي هذه الفترة ،كان يدور حوار فعال داخل أسوار الجامعة بين الإتجاه القومي والإتجاه الشيوعي، وكان الخلاف الأساسي يتركز على شرعية قرار تقسيم فلسطين، والاعتراف به، والذي كان الشيوعيون يدافعون عنه تبعا لموقف الاتحاد السوفياتي المؤيد له. وكانت الانتخابات الطالبية داخل جمعية **"العروة الوثقى"** الناشطة آنذاك ، كمنبر ثقافي في الجامعة،تدور بين التيار القومي_والتيار الشيوعي ، وان الرأي العام بغالبيته كان يميل للقوميين، ولذلك حققوا فوزا كاسحاً في الانتخابات. وفاز برئاسة الجمعية جورج حبش، أحد أبرز المؤسسين للحركة، وبادر للاتصال برفاقه البعثيين، ومن بينهم ميشال عفلق، ودارت نقاشات جدية بينهم، أظهرت عدة خلافات ،تمحورت حول قضيتين أساسيتين: الأولى ، مركزية قضية فلسطين، فيما كان حزب البعث يركز على قضايا التحرر الوطني. والثانية، موضوع الإشتراكية التي شكلت ركيزة أساسية عند حزب البعث، فيما كانت الحركة تعتبره طرحا سابق لأوانه، وأولويتها كانت تأكيد الربط بين الوحدة العربية وتحرير فلسطين . واتخذت الحركة شعارات:"وحدة ، تحرر، ثأر"، وهذه الشعارات كانت تعكس برنامجها السياسي. ورأت "الحركة" أن النضال العقائدي المنظم يمر بمرحلتين: الأولى تقييم الإطار السليم للمجتمع العربي من خلال نضال سياسي ثوري يهدف لتحرير الأمة وتوحيدها والقضاء على إسرائيل، مما يمهد للمرحلة الثانية ، الإشتراكية، وبناء مجتمع ديمقراطي قومي[١] موحد .

وتركز النقاش في تلك الفترة، على أسباب هزيمة الجيوش العربية، وكيفية استرداد فلسطين، وكانت أهم الإجابات العلمية والموضوعية، هي التي قدمها المفكر قسطنطين زريق في كتابه الشهير:"معنى النكبة"، وكذلك المفكر ساطع الحصري، وكتابه الذي تناول فيه أسباب الهزيمة السبعة أمام العصابات الصهيونية.

عقدت الحركة مؤتمرها الأول في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٥٦، بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر، وعادت واندمجت مع التيار الناصري، بعد إعلان الوحدة بين مصر وسورية عام ١٩٥٨، تحت عنوان "الإلتحام بالناصرية"، وانسجاما مع الإستراتيجية التي طرحها عبد الناصر، ووجدت الحركة فيها تعبيرا عن طموحاتها، وتحولت الى أداة

طوعية للجمهورية العربية المتحدة. وقد كانت الاجراءات التي اتخذها عبدالناصر في مصر، عبر قرار التأميم، وإعادة توزيع الملكية الزراعية، دافعاً للحركة لتبني شعار "الإشتراكية"[٢].

شكلت نكسة حزيران عام ١٩٦٧، نقطة تحول كبيرة ،في تاريخ حركة القوميين العرب، فقد عقدت العديد من المؤتمرات، لبحث وتحليل الأسباب التي أدت للهزيمة، وكانت حصيلة هذه المؤتمرات الطلاق الكامل مع الناصرية، التي أدينت باعتبارها حركة برجوازية صغيرة محكوم عليها بالفشل. كما دعت هذه المؤتمرات لبداية جديدة من أجل تغيير حركة القوميين العرب، من منظمة شبه برجوازية، إلى حزب لينيني_ماركسي.

إن التطور الأيدلوجي لـ "حركة القوميين العرب"، يندرج بثلاثة أطوار أيدلوجية مختلفة، هي الأطوار القومية التقليدية، والاشتراكية العربية، والماركسية:

أولا: الطور التأسيسي لحركة القوميين العرب

يمكن اعتبارحركة القوميين العرب امتدادا حقيقيا لكتائب الفداء العربي التي كان من أبرز أهدافها "مقاومة الصلح مع إسرائيل وركَّزت الحركة في طورها التأسيسي على" مسألة العنف "أو" بناء منظمة كفاحية مسلحة تقارع العدو من خلال العنف"، فينتمي شعار" الثأر "الذي تبنته" الحركة "في إطار منظومتها الرمزية الثلاثية:

وحدة، تحرر، ثأر إلى العقلية القومية الفدائية لـ"الكتائب".

تشكَّلت" كتائب الفداء العربي "في اجتماع توحيدي انعقد في بيروت آذار من اتحاد ثلاث" مجموعات "قومية فدائية ، هي مجموعة بيروت التي قادها كل من جورج حبش وهاني الهندي، وكانت تضم عدداً من النشطاء القوميين في جمعية" العروة الوثقى "في الجامعة الأمريكية ببيروت، والمجموعة السورية التي كان من أبرز أعضائها جهاد ضاحي طالب الحقوق في الجامعةالسورية بدمشق، وكان معظم أعضائها من طلاب الجامعة السورية، والمجموعة المصرية التي قادهاالفدائيان المصريان المحترفان : حسين توفيق ابن وكيل وزارة الدفاع المصرية يومئذ وعبد القادرعامر حفيد أحمد عرابي[٣].

اعتمدت الكتائب نظام الخلايا السرية، وقامت بالتخطيط لعدد من عمليات الإغتيال تستهدف شخصيات سياسية ممن اعتبرتهم مسؤولين عن النكبة، كرئيس الوزراء العراقي نوري السعيد وملك الأردن عبدالله، وكذلك استهدفت معبدا يهوديا في دمشق، ومدرسة الأليانس اليهودية في بيروت في وقت واحد. وكان الهدف [٤] السياسي للعمليتين هو تخريب اتفاقية الهدنة التي وقعها الرئيس حسني الزعيم في ١٩٤٨/٧/٢٠وقد هاجمت الكتائب مفوضيات بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية في بيروت ودمشق وعمان وبغداد والقدس.مما عرض قياداتها للاعتقال باستثناء جورج حبش المتخفي في بيروت[٥].

بدأت حركة القوميين العرب نشاطهامن خلال عدة واجهات،في طليعتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأميركية ببيروت،وهيئةمقاومة الصلح مع إسرائيل، والنادي الثقافي العربي.

كان الدكتور قسطنطين زريق أحد أبرز المفكرين القوميين العرب يعتبر مستشاراً لجمعية العروة الوثقى، في نهاية الثلاثينات، وكان كتابه الأول" الوعي القومي "الصادر عام ١٩٣٩ مرجعاً تأسيسيا لأجيال عديدة من القوميين العرب.

كان زريق ينتقي أعضاء الحلقة ويختارهم، إذ انه وهو المؤمن بنظرية النخبة قد طمح إلى أن يكون له دور المرشد للشباب القومي، و سعى من خلال الحلقة التي شكلها في إطار" الجمعية "لتأسيسنواة لحركة قومية عربية لا بد لها أن تتشكل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وبهذا المعنى كان زريق على وعي" حركي "مسبق بإمكانية تسييس حلقته القوميةالثقافية وتطويرها إلى نواة حزب قومي، وقد دعا علناً وبوضوح عام ١٩٤٨ إثر النكبة الشباب القومي إلى تشكيل هذا الحزب.

كان المناخ الفكري والأيدلوجي لهذه الحلقة في النصف الأول من الأربعينات متأثرابشكل كبير بالنظرية التاريخية الألمانية، بان لكل أمة خصائص تاريخية تميزهاعن غيرها من الأمم ، وبان للأمة العربية رسالتها المنبثقة من تلك الخصائص، وكان مفهومي شخصية الأمة العربية ورسالتها يمثلان المفاهيم المركزية لفكر زريق..وقد حرص زريق على استخلاص العبرمن تجربة الوحدة الأوروبية وفق النموذجين الألماني -البروسي والايطالي، وكان بسمارك[٦] وغاريبالدي يحضرون روحياً عند مقاربة واقع التجزئة القومية في نقاشات الحلقة.

بادر في آب من العام ١٩٤٨إلى نشر كتابه" معنى النكبة "الذي شكل مرجعاً فكريا مهما لأجيال القوميين العرب.

ويعتبر زريق أول من استخدم كلمة" النكبة"، ففي هذا الكتاب يطرح زريق تحليلاً عميقاً للكارثة بهدف استكشاف افضل الأساليب"لمحاربة الصهيونية واستئصال جذورها . ويرى أن الصراع مع الصهيونية" يتطلب حرباً ممتدة، بعيدة الأجل وان الخطر الصهيوني لا يواجه إلا بمشروع قومي عربي تقدمي متحد، و بتحقيق "الوحدة العربية"، وهو ربط أساسي في وعي" الكتائب "وفي" حركة القوميين العرب "عموماً، وهو يشير إلى الوحدة العربية باسم" كيان عربي قومي متحد" أو كيان الدولة القومية الحديثة، التي تنهض بالمجتمع العربي من العصور الوسطى لتواكب العصرالحديث، وتبني المجتمع القومي الصناعي العلماني التقدمي، أي انه اعتمد الدعوة الى الحداثة ، وحدد نقطة الانطلاق لها بمبادرة" الفئة المختارة المبدعة "من الأمة، أي النخبة التي حققت الانقلاب،على حد تعبيره، وقامت :"بتشكيل أحزاب ومنظمات محكمة تقوم على عقيدة صافية موحدة، وترتبط بولاء صحيح متين، تخضع كافة نزعاته له، وان تبرز إلى الوجود الزعامة الحقيقية، وان تُولدّ أولئك الأفراد الذين يبنون الدول ويخلقون الأمم ويصنعون التاريخ". وبذلك بدا وكأنه يدل الحلقة لبدء التوجه نحو تحويلها إلى" منظمة محكمة"[٧]

وهكذا تطورت الحلقة "القومية في بيروت– وفي الجامعة الأمريكية، من حلقة قومية أيدلوجية تربوية تقتصر على الفكر والثقافة، إلى نوع من إطار" لتشكيل منظمة قوميةفدائية سرية شبه عسكرية تأخذ على عاتقها" معاقبة الخونة."

كان هاني الهندي طالب العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية، مهندس التعارف والاتصال واللقاء ما بين المجموعات الثلاث :البيروتية والسورية والمصرية، وفي الجامعة الأمريكية تعرف على مجوعة المؤسسين الذين كانوا من الطلاب القوميين المقبلين على التخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت،والذين كانوا جميعاً من نشطاء جمعية"العروة الوثقى "وقياديها، ومن" رواد حلقات قسطنطين زريق. وهم: جورج حبش(فلسطيني)، ووهاني الهندي(سوري)،ووديع حداد(فلسطيني)،وحامد الجبوري(عراقي)،وأحمد الخطيب(كويتي)،وصالح شبل (فلسطيني، والحكم دروزة (فلسطيني)، وعمر فاضل(لبناني)،وثابت المهايني (سوري)، ومحسن ابراهيم (لبناني)، ومصطفى بيضون (لبناني)، شكلت هذه المجموعة الطلابية النواة المؤسسة لحركة القوميين العرب، وبدأت باختبار تأسيس مجتمع مصغر للنخبة القومية السرية،التي تميزت بالنقاء الثوري، والسمو القومي الروحي، والانضباط التام في أدق تفاصيل الحياةالاجتماعية والشخصية من زواج أو سفر والتي كانت تحتاج الى قرار جماعي من النواة،ولذلك بقي جورج حبش في بيروت،رغم تخرجه صيف عام ١٩٥١.

اقتدت هذه النواة"الأخوية "بأخويات طلاب الوحدتين الألمانية والايطالية في القرن التاسع عشر، واستوحت مفهوم النواة للنموذج التنظيمي الذي اعتمدته.

كانت الحركة طوال طورها القومي التقليدي متأثرةبرؤية زريق الفكرية، فكان على كل مرشح لعضويتها أن يقرأ كتابيه" (الوعي القومي)الصادر عام ١٩٣٩، (ومعنى النكبة)، والذي أصدره مباشرة بعد هزيمة عام١٩٤٨ ، بالإضافة لقراءة كتب ساطع الحصري.

لكن قسطنطين زريق كان بالنسبة ل" الحركة "رجل دعوة "أكثر منه" رجل تنظيم "و"أستاذاً "أكثر منه" قائداً "ولكنه لم يكن بالنسبة"الحركة "ماكان عليه انطون سعادة بالنسبة للحزب القومي السوري الاجتماعي.

ومن هذا المنطلق بادرت النواة التي أحكمت سيطرتها على جمعية" العروة الوثقى" في عام ١٩٥١،علي ناصر الدين ودعته إلى إلقاء محاضرة، اراد علي ناصر الدين[٨] أن يكون موضوعها "الثأر أو محو العار.أقنع علي ناصر الدين النواة بتوجهاته،فتماهت مع منهجه العاطفي المؤثر، واختارته منهجاً تاماً لها، ويتلخص هذا المنهج في :"أن شيئاً واحداً بعينه، يمحو العار،وليس يمحوه أي شي على آخر، على الإطلاق هوالثأر."وبذلك تكون الحركة قد استمدت مفهوم الثأر ومضامينه من محاضرة علي ناصر الدين،واختارت أن تجعل من "الثأر" الركن الثالث لمنظومتها الرمزية:وحدة،تحرر،ثأر،وكذلك عندما أصدرت أول نشرة تحريضية لها في عام ١٩٥٢،كان عنوانها:"الثأر".

وتبنت الحركة في هذا الطور نظرية المرحلتين :وتقوم هذه النظرية على التمييز بين مرحلة النضال القومي،ومرحلة النضال الإشتراكي، والفصل ما بينهما مرحلياً،على ضوء التناقض الأساسي. وكانت مرحلة النضال القومي تتمحور حول هدف تصفية الإستعمار،والتجزئة والاغتصاب اليهودي، أما مرحلة النضال الاشتراكي،أو مرحلة التحرر الاجتماعي،فتتمحور حول مهام بناء المضمون الاشتراكي الديمقراطي الإجتماعي العام للمجتمع العربي. وهذا يعني أن استراتيجية الحركة في هذه المرحلة،كانت تعطي الأولوية لمواجهة العدو الأول:الاستعمار،والصهيونية، والرجعية .ومن هذا المنطلق رأت أن التخطيط السليم يجب أن يتركز على حشد كافة امكانيات الأمة لإيجاد الكيان العربي الواحد المحرر، وهذا يتطلب تماسك الجبهة الداخلية ،وعدم الإنشغال بالنضال الاقتصادي الذي سيكون داخل جدران المجتمع،فيضطر لأن يحارب على جبهتين،داخلية وخارجية، وتتحول المشكلة الرئيسية مع الاستعمار الى مشكلة رئيسية مع صاحب العمل، وهذا سابق لأوانه.وكانت الحركة قدأبدت ارتيابها بطرح حزب البعث لشعار الإشتراكية،وأعطت الأولوية للقضية الفلسطينية، وأن الاشتراكية ضارة بل خطرة في هذه المرحلة.

ووفقا لهذه النظرية،حددت الحركة أهدافها:_القضاء على التجزئة ب"الوحدة"، وعلى الاستعمار ب"التحرر"،وعلى إسرائيل بال""ثأر".

استمرت حركة القوميين العرب تنادي بهذه الشعارات حتى عام ١٩٥٩، عندما أضافت لها شعار الاشتراكية، و شعار استرداد فلسطين،بدلا من شعار "الثأر" وتطورت أهداف الحركة وأصبحت تتركزفي : _تعبئة الجماهير الواسعة في كافة الأقطار العربية،والسعي لتحقيق الوحدة العربية، وتحرير هذه الأقطار كلها من الاستعمارالغربي،تمهيدا لتحرير فلسطين وتحقيق الاشتراكية.

- **المبادئ التنظيمية للحركة:**

بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر، اتجهت الحركة للتماهي مع التيار الجماهيري الواسع، الذي اتخذ اسم" الناصرية"، فبادرت النواة المؤسسة في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٥٦لى عقد المؤتمر الأول للحركة في"بيروت، وكان هذا المؤتمر في حقيقته اجتماعاً قياديا ".مصغرا، غير أن" الحركة "تعتبره بمثابة مؤتمرها الأول الذي تقررفيه اسم تنظيمي للحركة يميزها سياسيا عن باقي الأحزاب القومية ، وفيه تم إصدار بيانها إلى الشعب العربي "تدعوه إلى رفع شعار" وحدة مصر وسورية والأردن." ويقول جورج حبش أن اسم" حركة القوميين العرب "قد تم إقراره في هذا المؤتمر .

وكذلك ،تحددت في المؤتمر الأول لحركة القوميين العرب عام (١٩٥٦) منظومةمن المبادئ قام على أساسها تنظيم الحركة ومن أبرزها: مبدأ (القيادة الجماعية ،ومبدأ المركزية المرنة، ومبدأ القيادة للأكفأ ، ومبدأ القيادة في صفوف الجماهير، ومبدأ النقد والنقد الذاتي ، ونفذ ثم ناقش) .

أما القيادة الجماعية: فكان هذا المبدأ متبعا في الأحزاب الشيوعية، إلا أن" الحركة " تميزت عن تلك الأحزاب باعتمادها على مبدأين أساسيين: المبدأ الأول :القيادة للأكفأ ، أي أنها تختار قياديها وفقا لمقياس الكفاءة القيادية، بعيدا كل البعدعن اعتبارات النفوذ العائلي أو المالي أو حتى الدرجة العلمية أو الأقدمية في الحركة.

أما المبدأ الثاني : فكان مبدأ القيادة في صف الأعضاء، أي أن الحركة حرصت على أن تعيش القيادة بين الأعضاء لا أمامهم ولا فوقهم ، و لذلك نرى أن عددا من أعضاء القيادة القومية كانوا مجرد أعضاء في قيادات أقاليم.

وكان الواقع السياسي السائد في معظم الأقطار العربية ، يفرض على القيادات أن لا تتحدد من خلال مؤتمرات تساهم قواعد الحركة في انتخابها،بل من خلال مؤتمرات تقوم بتعيين القيادات بالتشاوربين قيادةالصف الأول ،وقيادات الصفوف الكادرية الثانية، وعلى ضوء التقييم التنظيمي ،والنشاط ،ومقياس الانضباط والكفاءة التي تحددهاالقيادة المركزية[٩].

- **ثانيا: الطور الإشتراكي العربي**

حتى عام ١٩٥٨، وقيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسورية، و بعدها ثورة ١٤ تموز في العراق، لم تكن حركة القوميين العرب أكثر من" أخوية "مغلقة، محدودة الحجم تنظيمياً، وضعيفة الحضور سياسياً، باستثناء فرعيها في الكويت والأردن.

ومع اتساع التيار الناصري،وامتداداته العابرة للحدود القطرية، أصبح للجماهيرالعربية، ولأول مرة، القدرة على صنع الأحداث الكبرى، وتوجيهها لتغيير المشهد السياسي، أحست قيادة" الحركة "بعزلة" أخويتها "ومحدوديتها السياسية، وارتفع صوت قيادات الأقاليم مطالبة بالبحث عن أساليب جديدة لتجنيد العسكريين والعمال والفلاحين، فكان ذلك إعترافا علنيا بعدم جدوى الشكل النخبوي للحركة كـ"أخوية " مغلقة وسرية. وبدءالتحول نحو إعادة تأسيس الحركة وفقا لمسار" المد الناصري"،حتى ولو كان ذلك سيلغي جذرياً بنيتها الطبقية والأيدلوجية والسياسية، ويحولها الى حركة جماهيرية. ويتحدث عمر فاضل، أحد أعضاء القيادة المؤسسين لحركة القوميين العرب عن تلك الفترة فيقول: "إن شدة حماسنا في ذلك الوقت دفعتنا كما الموج العارم أو المد الجارف_لا تستيطعي أن تعرفي طبيعتها_ لاشيء يعيقنا عن الحركة لا الفصل من الجامعة ولا الدراسة ولا هموم العائلة... أنا من الذين حملتني هذه الموجة الى أبعد مدى فبعد أن فصلت من الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٥٥ بسبب تنظيم مظاهرة ضد حلف بغداد وشمعون، وفي مصر جرى معادلة للسنة التي فصلت فيها ،وعملوا على التحاقنا بالجامعة هناك...لكن حصلت تطوراتأوجبت انتقالي الى الأردن لإعادة تنظيم صفوف الحركة هناك والتي اهتزت بفعل ضغط السلطة على القيادة(جورج حبش) وكان عليه أن يتوارى، وبالتالي فقد الصلة بتنظيم الحركة. وبعد فترة من وصولي وبسبب أحد الرفاق كُشف أمري وحولوني مع ثلاثين من رفاقي الى محكمة عسكرية، لا دفاع فيها

ولا غيره... فيها اتهام فقط. وكنا نحن المتهمين نجلس على مقاعد مثل مقاعد المدرسة: صف من المتهمين يليهم صف عساكر ثم متهمين ويليهم صف عساكر وكان هناك بعض الصحفيين المرخص لهم حضور المحكمة. وكنت أنا اللبناني الوحيد والمتهمين الباقين أردنيين وفلسطينيين وعنده معارف ومن يشد ظهرهم، وبينما أنا في انتظار دوري، إذ بعسكري (تبين أنه كاتب المحكمة) يجلس بقربي ويقول لي: أنت اسمك عمر فاضل؟ فأجبته نعم، فقال ولا يهمك خليل بيك حيمور رئيس المحكمة ابن ضيعتك (القرعون) لاتفزع خليك متل الحديد، وقلت في نفسي سبحان الله شو هالحظ العظيم... أنا بعرف أن آل حيمور نفوا الى الأردن منذ دخولهم في الجيش العربي...ولكن لا أعرف خليل حيمور....و بدأ رفاقي ينظرون الي نظرة فيها ريبة مع أني كنت أكثرهم صلابة في مجريات التحقيق وأنقذت مئات الناس من التوقيف والمراقبة_ فأنا كنت مسؤولا عن شمالي الأردن كله وأثناء التحقيق لم يأخذوا مني اسم واحد... ولما صدرت الأحكام حكم لي بالبراءة لكن الحاكم العسكري لم يقتنع فحكم علي بسنة سجن إداري... وبعدها قال لي خليل بيك حيمور أنا أعرف أهلك وأعرف جدك وبيتكم في حارة القبة فتروحنت بشكل كبير...وكفلني ب ٣٠٠ دينار"[١٠].

ويتضح لنا من هذه الرواية أن حركة القوميين العرب هي امتداد لتاريخ نضالي متداخل الحلقات والأجيال،يؤكدها هذا اللقاء المفاجئ بين قيادي من حركة القوميين العرب وبين مقاوم من آل حيمور الذين قارعوا الإنتداب الفرنسي، وقاموا بقيادة الشيخ طراف حيمور،بتشكيل عصابات ،حاربت تحت قيادة الملك فيصل في معركة ميسلون، وبعد سقوط دمشق أقدمت السلطات الفرنسية على نفيهم الى الأردن،ووضعت يدها على أملاكهم[١١].

وكانت الحركة، قد سبق وواجهت أخطر تحد أيديولوجي وسياسي لتكوينها النخبوي القومي التقليدي، من داخلها،مع بداية عام ١٩٥٩. وظهر ذلك عندماقدمت اللجنة الفكرية تقريرها ، وهذه اللجنةهي من اللجان التنفيذية القومية، والتي كان يترأسها محسن ابراهيم(عضو القيادة القومية).

لقد أحدث هذا التقرير انقلاباً أيدلوجيا وسياسياً، خاصة عندما طرح إعادة النظر جذرياً بعدد من الأفكار الرئيسية في ببنية الخطاب المعتمد من قبل الحركة الجهة المنطلقات النظرية – السياسية، فدعى لاستبدال شعار" الثأر"

بشعار جديد هو"تحرير فلسطين"، ورفض مطابقة الحركة ما بين اليهودي والصهيوني، وكذلك رفض

نظرية المرحلتين، وأكد على التشابك بينهما، واعترض على مبدأ الوحدة بأي ثمن، وربط بين الموقف من الوحدة ومضمونها السياسي. ولذلك تم اعتبار هذا التقرير نوعاً من إنذار مبكريوحي بالطور الاشتراكي العربي الذي ستدخله" الحركة "بعد الانفصال .

وفي هذا السياق تمت إدانة الاتحاد الهاشمي دون تردد عام ١٩٥٩ ، واعتباره اتحاداً مزيفاً ممسوخاً، وتكتلاً رجعياً، يستهدف البناء الوحدوي السليم، الذي تمثل بقيام الجمهورية العربية المتحدة، وتكمن الأهمية هنا ليس في إدانة الاتحاد فقط، بل في الرؤية

السياسية الجديدة التي تتبناها الحركة بوضوح، إذ أن الحركة حددت للمرة الأولى أن للوحدة العربية الحقيقية طريق واحد: هو طريق الشعب، وأن لهذه الوحدة هدف واحد: هو مصلحة الشعب.

_ ولقد ربطت الحركة ما بين" التجزئة والاستعمار "وأكدت أن" الوحدة العربية بحد ذاتهاهي ثورة تحررية كبرى، وان كل خطوة باتجاه الوحدة إنما هي خطوة ثابتة باتجاه التحرر.

ومن هذا المنطلق الأيدلوجي– السياسي الواضح أعلنت "الحركة "موقفها الحاسم من اتحاد ولايات جنوب الجزيرة العربية، واعتبرته ردا انكليزيا على قيام الجمهورية العربية المتحدة. وأصدرت الحركة في تشرين الأول ١٩٥٩ وثيقتها المهمة :"اتحاد الإمارات المزيف"مؤامرة على الوحدة العربية.

الانفصال:

فاجأت حركة ٢٨ أيلول ١٩٦١ الانفصالية قيادة الجمهورية العربية المتحدة، ووجدت" حركة القوميين العرب "نفسها وسط الصراع، ورغم تواضع قوتهم التنظيمية في سورية عشية الانفصال، فان نواتهم الصلبة التي لم تحل نفسها، فقد تمكنت من التحريض على بعض التظاهرات احتجاجاً على الانفصال.

كانت التظاهرات المنظمة الوحيدة في الأيام الأولى هي التظاهرة التي حرض عليها "القوميون العرب"، وشكل الفلسطينيون قوامها، وقد مكن" الحركة "على ما يبدو من تنظيمها لهذه التظاهرة، شروعها منذ عام ١٩٥٩ بتكوين نوع من جهاز قيادي فلسطيني خاص بالحركة أخذ يعمل في" المخيمات." كانت" حركة القوميون العرب "في مختلف الوجوه، أهم منافس حزبي وسياسي للبعث في كل من العراق وسورية، تكيفت" حركة القوميين العرب "بسرعة مع الوقائع الجديدة، فأعلنت في ١٧ آذار ١٩٦٣برنامج" وحدة اتحادية "يقوم على شعار: " وحدة اتحادية جدية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق" حلَّ مكان شعارها السابق" :وحدة سورية ومصر أولا ثم العراق." إن الطور الاشتراكي العربي بدأ مع تبني الحركة لخيار"الالتحام بالناصرية"[١٢].

وكانت الدروس المستخلصة من تجربة" الانفصال " دافعا للتوجه نحو اعتبار أن "الثورة العربية المعاصرة ،يجب أن لا تكون ثورتين" "منفصلتين "بل ثورة مركبة واحدة، وبذلك لا يمكن الفصل المرحلي ما بين" القضية السياسية "و"القضية الاقتصادية"، أي الإشتراكية، والصراع الطبقي، الأمر الذي كان يتحاشاه المنظرين التقليديين في الحركة طوال المرحلة السابقة.

ومن هذا المنطلق لا يمكن بناء الاشتراكية من دون اشتراكيين، ومن دون حزب اشتراكي يسعى لتحويل الجماهير من" قوة اشتراكية بالقوة إلى قوة اشتراكية بالفعل"، فإنه لا يمكن بناء الاشتراكية دون العزل السياسي للطبقات المستغلّة، وهذه هي المرة الأولى التي تتحدث الحركة في أدبياتها عن رجعية طبقية داخل المجتمع القومي نفسه، بعد ماكانت صفة الرجعية محصورة بالعمالة للاستعمار.

ولذلك فإن تحرير القومية العربية من ضبابيتها وغموضها، لا يتم إلا بتأكيد المحتوى الطبقي للقومية العربية، وهذه إشارة ضمنية أخرى للطابع الطبقي للكوادر "الحركية "التقليدية، ويؤكد التقرير على ضرورة تحويل القومية العربية من النخبة إلى الجماهير، أي من الرؤية التقليدية التي ترى الأمة" وحدة اجتماعية متجانسة "إلى الرؤية التاريخية الجديدة التي تعتبر هذه الوحدة محكومة بتناقض طبقي،وهذا التناقض لا يمكن حله سلمياً، بدليل انقضاض قوى الإقطاع ورأس المال على انجازات ثورة" تموز " "الاشتراكية" وإقدامها على جريمة الانفصال.

ويتضح من ذلك أنه، إذا كان المفهوم التقليدي ل"الحركة "يقوم على" الفصل "ما بين النضال القومي النضال الاشتراكي في مرحلتين" مستقلتين"، فان الاتجاه الجديد يقوم على الربط العضوي ما بينهما، فتصبح قضية الوحدة هي قضية الجماهير الشعبية الكادحة ، وليست قضية كل طبقات الأمة، وبذلك يحقق النضال القومي وحدته واشتراكيته في آن.

وقد سعى محسن إبراهيم على مدى عام ١٩٦٢ لبلورة ملامح هذه "النظرية"الجديدة.

احتدم الصراع في المؤتمر الاستثنائي الذي عقد في آذار_نيسان عام ١٩٦٣، بين الجيل الثاني في الحركة، وبين جورج حبش بشكل خاص،الذي يشكل قطب النواة القيادية المؤسسة للحركة،وكان حريصا على تأكيد استقلالية الكيان التنظيمي ل"الحركة "عن الجمهورية العربية المتحدة، بالرغم من توجهها للعمل كأداة طوعية اختيارية لما اعتبره حبش ب"القيادة الرسمية للثورة العربية"، لذلك تأخر لقاؤه بعبد الناصر إلى عام ١٩٦٤ ، مع أن فريقاً من قيادة" الحركة "قد سبق والتقى رسمياً بعبد الناصر بعد الانفصال.

وبقي محسن ابراهيم متمسكا بخيار الالتحام بالناصرية ، مثله مثل قيادات الجيل الثاني كنايف حواتمة ومحمد كشلي.

كان مؤتمر ١٩٦٤ يمثل تعبيراً عن التناقضات الأيدلوجية والتنظيمية والسياسية ما بين جيل القيادة المؤسسة وجيل الصف الثاني في تيارين متضادين.

ويقول باسل الكبيسي، أبرز مؤرخ للحركة من داخلها عن هذا المؤتمر، بأنه نقطة انعطاف في تاريخ الحركة، طُرحت فيه للمرة الأولى– أفكار ومفاهيم تنظيمية جديدة، أما محسن إبراهيم فقد وصف هذه التناقضات بأنها "أزمة خطيرة كادت تصل بالحركة إلى الانشقاق العلني، وامتنع عن اتخاذ أية مواقف لأن الحركة تجابه" أزمة خطيرة " تتناول وجودها من الأساس، واقترح عقد مؤتمر آخر– خلال عام -لمناقشة وجهات النظر بصورة رئيسية للوصول الى نتائج حاسمة ،تحدد اتجاه الحركة مستقبلاً، ورأى جورج حبش أنه" أكثر المؤتمرات التي عقدتها حركة القوميين العرب حدة، وتفادياً لحدوث انشقاق اتفقنا على الدعوة إلى مؤتمرعام ١٩٦٥.

و في الأسبوع الأول من شباط عام ١٩٦٥،عقد المؤتمرالذي اعتبرت قراراته كنتيجة للحوارات المحتدمة في الحركة خلال العامين السابقين ،و جاءت .قراراته بشكل

هادئ لتحتوي المواجهة الحادة في مؤتمر ١٩٦٤. وقد سارعت القيادة التقليدية المؤسسة لتبني هذه القرارات، معتبرة إياها" وثيقة موحدة، وتمثل محصلة لوجهتي النظر "على حد تعبير جورج حبش، في حين اعتبرها محسن إبراهيم، ومعه الصف الثاني ، بأنها تكريس نهائي لسيطرة الفريق التقدمي على الحركة، وتعبير عن المضمون النظري والطبقي الجديد للحركة.

كان استسلام" القيادة التقليدية المؤسسة في مؤتمر ١٩٦٥ أمام الصف الثاني، هو اعلان انهيار" حركة القوميين العرب "كما تصورها الآباء المؤسسون ، وشكل هذا المؤتمر انقلاباعلى النمط القومي التقليدي للحركة وأعاد تأسيسها وتجذيرها في الفضاء الناصري.

وبهذا المعنى كان مؤتمر ١٩٦٥،والمصادقة على قراراته ،يشكل تعبيراً نموذجياً عن" حركة القوميين العرب "الشابة الجديدة الناهضة . وتتمحور هذه القرارات فيما يلي:

١ - نقل مركز الثقل إلى الأقاليم:

عكس المؤتمر آلية إنتاج السلطة القيادية في" الحركة "فقرر لأول مرة نقل مركز الثقل من القيادة القومية المركزية إلى قيادات الأقاليم، أي من المركز إلى الفروع، و أحال الشؤون الفكرية والسياسية والإدارية إلى الفروع، ضمن التجارب الخاصة التي تخوضها، أما القيادة المركزيةالجديدة ،فأصبحت تتشكل كلجنة مركزية مؤلفة من مندوبين عن الأقاليم، وتم انتخاب أمانة عامة متفرغة لتنفيذ ما يصدر عن اللجنة المركزية، وأصبحت الفروع تتمتع باستقلال نسبي، ولها أن تبنى المؤسسات التنظيمية لكل فرع بشكل متكامل، على مستوى المؤتمر واللجنة المركزية والمكتب السياسي ولجان الفكروالإدارة، و في مثل هذه الهيكلية الجديدة أصبح المؤتمر القطري أو الإقليمي أعلى هيئة في القطر أو الإقليم، وبذلك تم الحدمن الصلاحيات المطلقة التي كان يملكها المؤتمر القومي والقيادة القومية المركزية بموجب النظام الداخلي القديم[١٣].

٢ -انتخاب القيادات من القاعدة إلى القمة :الديمقراطية المركزية

في المؤتمر القومي لعام ١٩٦٤ ،طرح مندوبو الجنوب العربي مسألة انتخاب المراتب القيادية وفق نظرية الديمقراطية المركزية، وجاء مؤتمر شباط ١٩٦٥ليقر مشروع نظام داخلي جديد، و يجعل جميع المراتب القيادية الإقليمية والمركزية، خاضعة لمؤتمراتها ومنتخبة منها في آن. ولم تكن القيادة القومية المركزية القديمة ، قد اتخذت إلى حين انفراط عقدها أية خطوات حقيقية لتنفيذ ذلك، باستثناء الفرع العراقي ، لأنه الفرع الوحيد بين فروع الحركة الذي أجرى مثل هذه الانتخابات أما باقي الفروع فلم تجر هذه الانتخابات قط.

٣ - الحركة الاشتراكية العربية الواحدة:

كان أبرز قرار للمؤتمر القومي هو اعتبار" حركة القوميين العرب "مجرد كيان تنظيمي مرحلي في طريق بناء" الحركة الاشتراكية العربية الواحدة "تحت قيادة عبد الناصر.

وهذا يعني أن"الحركة الاشتراكية العربية الواحدة "وفق المؤتمر ، ماهي إلا إعلان النهاية التاريخية للصيغة الفكرية والاجتماعية والتنظيمية التي كانت سائدةفي أدبيات التيار القومي القديم، على حد تعبير المؤتمر، الذي تمثله" حركة القوميين العرب"(١٤).

ويمكن القول، أن التأكيد على الاشتراكية في اسم" الحركة العربية الواحدة "هو تأكيد واضح على هويتها الطبقية اليسارية.

وخلاصة الكلام أن جوهر مؤتمر ١٩٦٥ كان يتبنى السعي لتطوير الحركةالناصرية إلى حركة اشتراكية، تستوجب قيام حزب اشتراكي عربي موحد في كل قطر، يكون البديل عن الحركات والأحزاب القومية والشيوعية المأزومة، والتي لن تتخلص من أزماتها إلا باعتماد صيغة" الحركة الاشتراكية العربية الواحدة."

"من الناحية الفعلية،فإن هذه التسمية ما هي إلا تسمية أخرى ل"الاتحاد الاشتراكي العربي "في صيغته التي أقرها المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم ٢١ أيار ١٩٦٢ في القاهرة، وإن الفروق بين "الحركة العربية الواحدة "و"الاتحاد الاشتراكي العربي "ما هي إلا فروقاً شكلية .وهذايفسر كيف أن حركة القوميين العرب وهي تقترح صيغة "الحركة الاشتراكية العربية "اقترحت في ذات الوقت أن يكون تشكيل" اتحاد اشتراكي عربي "في الأردن ،معتمدا من قبلها ،كما أن" اندماجها "في" الاتحاد الاشتراكي العربي "في كل من سورية والعراق،اعتبرته يندرج في إطار" السلوك العملي " لصيغتها الجديدة .

وكان جورج حبش مع الفكرة، إلا أنه رفض حل الحركة والاندماج في الاتحاد الاشتراكي الناصري كما كان يطالب محسن إبراهيم وآخرين.

وأخذت فروع الحركة تبحث عن صيغة لتطبيق شعار" الالتحام بالناصرية تنظيمياً، واتخذ ذلك أشكال متعددة:

ففي العراق انبثقت"الحركة الاشتراكية العربية "من الجناح اليساري الناصري في سلطة عبد السلام عارف، أما في لبنان ،فقد أخذ شكل الانضواء في" جبهة الأحزاب والهيئات

والشخصيات الوطنية والتقدمية في لبنان "التي ضمت كلا من : الحزب التقدمي الاشتراكي والحزب الشيوعي اللبناني وحركة القوميين العرب وعددمن شخصيات التيار الشهابي، أما في جنوب اليمن فقد تم دمج الجبهة القومية ومنظمة تحرير الجنوب ، في صيغة جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، وفي الساحة الفلسطينية، قررت الحركةأن تنضوي كافة تشكيلاتها الفلسطينية ضمن منظمة التحرير الفلسطينية، ودعت كل التنظيمات الثورية الفلسطينية لتندرج في إطار المنظمة، كما دعت الى قيام" التجمع الوطني "في الأردن وانخرطت فيه.

إلا أن التجانس الحقيقي لتطبيق صيغة" الالتحام بالناصرية "تنظيمياً، كان هو شكل "الاتحاد الاشتراكي العربي "الذي تم تأسيسه في كل من سورية واالعراق ،عام ١٩٦٤، وكانت الحركة طرفاً أساسياً ومركزياً فيه، إذ تطلب الأمر من"الاتحاد الاشتراكي العربي "أن يكون صيغة شفافة ونقية ل"الالتحام بالناصرية "كونه يتكون من اندماج مجموعات ناصرية" صرفة"

- **ثالثا: الطور اليساري الماركسي**

بعد هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧تعرضت حركة القوميين العرب لحالة من الإرباك لم يتم تجاوزها إلابعد انعقاد الاجتماع القيادي الموسع للجنة التنفيذية القومية للحركة فيأواخر تموزعام ١٩٦٧،وتضمن التقرير الرسمي الصادر عن هذا الإجتماع تحليلاً طبقياً للنكسة، وكان تحت عنوان" الثورة العربية أمام معركة المصير "ولقد كان هذا التقرير حسب مفهوم الحركة متفقاً عليه ما بين فريقي القيادة المركزية الراديكالي والتقليدي إلاأن المسؤول الأول عن هذا التقريركان جورج حبش،الذي أراد أن يضع حدا لنمط مقالات محسن ابراهيم، وما تعكسه من استراتيجية"الالتحام بالناصرية"،وما تسببت به من تهميش لدور الحركة..

وفي الحقيقة لقد كان فريق محسن إبراهيم ونايف حواتمة مسؤولا من الناحية النظرية عن فرض استراتيجية الالتحام بالناصرية "التي تبنتها الحركة في الفترة الممتدةبين عامي ١٩٦٤_١٩٦٧على القيادة وألزمتها بها،وحرصت قيادةالحركةعلى عدم الإنزلاق لتكون في مواجهة مع عبد الناصر تحت أي ظرف من الظروف،لكنها كانت تفضل منطق التحالف على منطق الالتحام مع الناصرية، وهذا هوالموقف الذي تمسك به جورج حبش.

كانت سياسة عبد الناصر تجاه فلسطين،محكومة بقناعة حقيقية،ترى أن هزيمة إسرائيل ليست ممكنةإلا بعد تحقيق الوحدة العربي ،وامتلاك تفوق عسكري واضح تساندها تنمية مستقلة وفعالة، ولكنه كان يرى،أنه عندما وقع الإنفصال، استغلت الدول الاستعمارية نجاحها بتحقيقه، وانطلق عملاؤها في العالم العربي للتهويل ووالتركيز على مساوئ الحكم الثوري المصري(١٥).

ناقش تقرير تموز ١٩٦٧ الذي أعده جورج حبش النكسة العسكرية في٥ حزيران ورأى أن المشكلة لا تكمن في الهزيمة العسكرية بل تكمن في اضطرار حركة الثورة العربية لإيقاف الحرب مع إسرائيل عند حدود جولة الأيام الستة، وكان يجب أن تتحول إلى حرب شاملة ضد الاستعمار بكل قواعده ومصالحه بما فيها كل القوى المرتبطة به. ودعا حبش إلى إعادة بناء الحركةعلى أساس يساري، ينطلق أيديوليجيا من تبني"الإشتراكية العلمية" كإيديولوجية للطبقات العاملة.

وفي إطار مناقشة أسباب الهزيمة،و" موضوعات ٥ حزيران"،ردت الوثيقة عجز قيادة الثورة العربية،إلى تكوينها الطبقي والإيديولوجي والسياسي البرجوازي الصغير،الذي حكم مواجهتها المتذبذبة لاستراتيجية الاستعمار الجديدالهجومية بقيادة

الولايات المتحدة الأميركية،وسعيها لتطويق الجمهورية العربية المتحدة منذ خمس سنوات (في اشارة لحرب اليمن)، ومحاولة الضغط عليها لحصرها داخل حدودها، وغزوها عسكريا في ٥ حزيران عام ١٩٦٧،ومع ذلك لم تعلن الثورة العربية المواجهة الشاملة لتلك الاستراتيجيةعلى امتداد الأرض العربية، لأنها محكومة بتكوينها ، وفي هذا التكوين تكمن الأسباب الموضوعية للنكسة.

وتوصلت هذه الوثيقة في ضوء تحليلها الطبقي للنكسة،الى أن البرجوازية الصغيرة، قد أدت دورها إبان مواجهة الاستعمار القديم، لكنها اليوم"لم تعد مؤهلة لممارسة دور القيادة على رأس الحركةالثورية العربية.إن حرب التحررالوطني مع الاستعمار "تتطلب إحداث تحولات بهدف بناء نظام اشتراكي، قادر بالتصنيع الثقيل ،أن يحمي استقلاله الاقتصادي ، وتطبيق الديمقراطية السياسية الشعبية ، وتجعل جماهير الطبقة العاملة ،والمثقفين الملتزمين بالاشتراكية العلمية قادرين على بناء الأساس المادي للاشتراكية، وتسعى لتحويل أجهزة الدولة إلى أداة ضاربة في يد الجماهير الكادحة، وتؤدي الى انتقال مقاليد القيادةالى هذه الطبقات.

و دعا التقرير إلى تعميم نموذج الثورة على النموذج الفيتنامي في العالم الثالث،وذلك عبر أسلوب الكفاح الشعبي المسلح، والعنف الثوري،وتوحيد القوى الثورية العربية على المستويات القطرية والقومية.

وعلى المستوى العالمي دعا الى تجديد وحدة المعسكر الاشتراكي ما بين الصين والاتحاد السوفياتي،واستبعاد سياسة التعايش السلمي، التي مكنت الولايات المتحدة من القضاء على ثورات الشعوب وتطويقها.

وكان تقرير تموزبمثابة الأساس النظري لإعادة بناء حركة القوميين العرب،و توجيهها يسارياً، وقد أقرت اللجنة التنفيذية القومية للحركة في كانون الثاني ١٩٦٨، برنامج التطور الديمقراطي ،وتم تحديد آليات عملية البناء اليسارية ،وكان من أبرز ما تضمنه هذا البرنامج:

- الاتجاه نحو تصفية البنية التقليدية للحركة وإحداث عملية فرز تنظيمي جذرية في صفوفها، وتشجيع الاستقطابات اليسارية داخل الحركة، للتحول إلى فصائل ماركسية لينينية.

لقد أقرت قيادة الحركة هذا البرنامج، الذي أحدث فرزا تنظيميا وأيدلوجيا جذريا في الحركة ما بين العناصر التي توافق على الإنعطاف اليساري للحركة ، والعناصر التي لا توافق عليه، وكان الفريق" اليساري يفسر "عدم عقد الأمانة العامة للمؤتمرات، بأن موافقة هذه القيادة المؤسسة على البرنامج كانت شكلية، في هذا الوقت انطلق الفريق" اليساري "من إدانة" أسلوب الإقناع الأيدلوجي الى"مطاردة الجيوب اليمينية وتصفيتها "معتبرا أنه يخوض في داخل الحركة صراعا طبقيا وإيدلوجيا بين أفكار وممارسات ماركسية– لينينية بروليتارية، وبين أفكار وممارسات برجوازية صغيرة سائدة .لكن ، إن عدم عقد القيادة للمؤتمرات الإقليمية ،ليس مبررا للتشكيك بنواياها "الانقلابية "ضد برنامج التطور الديمقراطي"، وقد أثبتت مصداقية كبيرة في تبني

مبادئه الأساسية، مما أحرج الفريق" اليساري "ودفعته للتصريح بان" اليمين "يتظاهر بالماركسية خلافاً لحقيقته.

وكان الفريق الراديكالي اليساري في حرب المواقع التي خاضها ضد القيادة التقليدية، قد تمكن من الإستحواذ على كافة المؤتمرات الإقليمية للفروع عام ١٩٦٨، فيما عدا الفرع الأردني_ الفلسطيني ، الذي كانت القيادة التقليدية قد أثبتت سلطتها فيه. ومثلت هذه المؤتمرات سلسلة مترابطة من الإنقسامات، انتهت الى سيطرة الفريق اليساري على الحركة، تمهيدا لتصفيتها شكلا ومضمونا وإسماً.

وفي ظل الأجواءالانقسامية هذه، حدث في آذار١٩٦٨ أمراً خطيراً بالنسبة للحركة، وهو مصادرة أجهزة العقيد عبد الكريم الجندي في سورية لشحنة أسلحة تعود للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و كانت في طريقها الى

الأراضي المحتلة عن طريق سورية، والجدير ذكره ، أن سلطات الجندي ، لم يكن لديها في السابق أي اعتراض على مثل ذلك مبدئياً، لكنها ارتابت بهدفها السياسي، هذه المرة بسبب النشاط المتزايد المعارض للحركة في سورية، الذي كان تحت مراقبة تلك الأجهزة .

وعند مراجعة جورج حبش للجندي بشأن استعادة الأسلحة المصادرة، في ١٩ آذار ١٩٦٨، جرى اعتقاله مع رفيقيه فائز قدورة وعلي بشناق، وبعد ثمانية أشهر، تمكن الدكتور وديع حداد عضو الأمانة العامة للحركة، ترافقه مجموعة من الجبهة الشعبية من تحرير حبش ونقله إلى بيروت(١٦).

في الفترة التي سبقت اعتقال حبش، كان فرع الحركة في سورية منخرطا في الاتصالات القائمة ما بين أقطاب المعارضة لتشكيل" جبهة وطنية تقدمية "معارضة، ونتج عن ذلك توقيع الحركة على الميثاق الوطني للجبهة ، وكان قد تم الإعلان عنها في أيار ١٩٦٨ ، بعد أن وقّع على ميثاقها هاني الهندي عضو القيادة المؤسسة للحركة وجهاد ضاحي أحد أهم وجوه هذه القيادة في سورية ، وذلك خلافاً لرأي الفريق اليساري في القيادة الإقليمية، و الذي ضم بشكل أساسي كلاً من(أسامة الهندي) شقيق هاني الهندي (وسامي ضاحي) شقيق جهاد ضاحي.

و في غياب جورج حبش، إبان اعتقاله، فاقمت حدة التنافس من المشهد الانقسامي، إلى حد إعلان الفريق اليساري عن انعدام علاقته بالحركة!!

يعني ذلك أن الطريق قد أصبح أمام الفريق" اليساري "خالياً من أصعب واهم عنصر يواجهه، فلو كان حبش حاضراً، لكان من الصعب على الفريق اليساري، أن ينفرد بالدعوة الى المؤتمرات التي عقدها باسم الحركة، وعلى هذه الصورة.

إن المؤتمرات الإقليمية التي عقدها" يسار "الحركة في تموز عام ١٩٦٨ في عدد من الفروع، تشبه اجتماعات قيادية موسعة أكثر منها مؤتمرات بالمعنى الحقيقي للكلمة، وكرست هذه المؤتمرات انقساما نموذجياً:حيث انقسمت أطرافه إلى" قطبيين متضادين " أيدلوجياً هما قطبا" اليمين "و"اليسار."

وكانت الطبيعة الأيدلوجية للموضوعات التي" ناقشتها "هذه المؤتمرات، تبرز الإنقسام إلى مقدمة المشهد، والذي أرخى بظلاله على سائر المستويات وكان العائق الأيدلوجي بالنسبة لمن تم اعتباره" يمينياً"، يعني التحفظ على موضوعات" الماركسية اللينينية"والموقف من الناصرية ومن العلاقة بماضي الحركة وتاريخها.

وفي الواقع ،إن الكوادر اليمينية كانت قد سبق وغادرت الحركة عند حدود عام ١٩٦٥، ولم يتبق منها في الحركة من كوادر فعالة، سوى أولئك الذين يصفهم الفريق "اليساري "ب" اليمينية "و هم في الحقيقة يتقبلون" الاشتراكية العلمية "، غير أنهم لا يتقبلون" الماركسية– اللينينية"، وإذا كانت لهم انتقادات على "الناصرية "غير أنهم لم يوافقوا أبداعلى عنف الموقف" اليساري "منها.خاصة وأن التيار اليساري كان يتبنى قبيل النكسة" الالتحام بالناصرية"، و قواعد الحركة كانت بأغلبيتها "ناصرية "انتسبت إلى الحركة على قاعدة ناصريتها، ولا سيما في المشرق .

انعقدت هذه" المؤتمرات "خلال شهر تموز، وكانت تناقش برمتها جدول أعمال بثلاثة نقاط: أقرت فيه

موضوعات" نكسة حزيران وما بعدها، وتحليلاً طبقياً– سياسياً لأوضاعها القطرية من منطلق ماركسي-لينيني، وكرست إجراءات تنظيمية مهمة كانتخاب قيادات جديدة تلتزم بـ"برنامج التطور الديمقراطي "في سبيل تأهيل الاستقطابات اليسارية للتحول إلى فصائل ماركسية، تقوم بتصفية التركيبة الطبقية والأيدلوجية والسياسية البرجوازية الصغيرة لحركة القوميين العرب[١٧].

يشير ميزان القوى في هذه المشاهد الانقسامية، إلى أن القيادات اليسارية تعمدت أن تقتصر عضوية هذه المؤتمرات على من سيصادق على تقاريرها و توجهاتها!!.

وشكل الموقف من الماركسية موضوعا مهما في مناقشات القوى السياسية العربية، وكان موقف جورج حبش يتلخص في أنه لا بد من الاسترشاد بالماركسية، كمنهج، وأداة تحليل،من دون الإستغراق الكلي في تفاصيل القضايا الماركسية اللينينية التي كانت تخص تفاصيل التجربة الروسية، وبعض التجارب الأوروبية، ويقول:""نظرنا الى الماركسية باعتبارها نظرية علمية نسترشد بها، لكن هذا الإسترشاد مرهون بكيفية فهم النظرية وتاليا القدرة على تطبيقها على واقع معين ومرحلة معينة. فجوهر الماركسية هو المنهج التي تمثله في رؤية القضايا وتحليلها وتحديد اتجاه حركتها. وبالتالي فإن فهمي للماركسية كان يقوم منذ السستينات على أساس أنها دليل عمل مرتبط بعلاقة جدلية بالممارسة التي تغني النظرية وتجعلها في حالة نمو وارتقاء لا في حالة جامدة. وعلى هذا الأساس فإن الالتزام بالماركسية لا يقدم ولا يؤخر مالم ينتج من هذا الالتزام استعمال هذه النظرية،وتطبيقها في فهم الواقع، واستخراج استراتتيجية العمل التي تحدد المرحلة وطبيعة المعركة، وتحديد القوى المتصارعة ورؤية هذا الصراع والإحاطة بالظروف الموضوعية التي تتحرك من خلالها. بهذا المعنى كنت أفهم الماركسية..."[١٨].

و بعد كل هذه التحولات في عموم التنظيم القومي ،عقدت الفروع اليسارية ،إجتماعاً للجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب ،في كانون الثاني ١٩٦٩،وصدر عن الإجتماع إعلان تصفية حركة القوميين العرب شكلا ومضمونا،وتحولها الى منظمات إقليمية أو قطرية يسارية تنتهج أسلوب الكفاح المسلح. وقامت مجموعة قيادية متحلقة حول جورج حبش،بتشكيل"القيادة المركزية العربية المؤقتة"، في محاولة منها لإعادة بناء منظمات الحركة المنهارة ،وذلك عبر تأسيس حزب جديد تحت اسم"حزب العمل الإشتراكي العربي".كان ذلك يمثل رداً على قرار اليساريين بتصفية حركة القوميين العرب، غير أن هذا الحزب بدأيتوجه نحو الماركسية منذ عام ١٩٧٠، والتحق بدوره بركب المنشقين اليساريين، وشكل امتداداً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. فتلاشت حركة القوميين العرب،مفسحة بالمجال للمنظمات المنبثقة عن تلاشيها لتتطور بشكل مستقل [١٩].

الخاتمة:

لقد كان التطور الأيدلوجي ل" :حركة القوميين العرب"،يندرج بثلاثة أطوار أيدلوجية مختلفة، هي الأطوار القومية التقليدية، والاشتراكية العربية، والماركسية.

وكانت" الحركة "في كل طور من أطوارها، تنفي ذاتها الأيدلوجية القائمة، وتُنتقل الى

أطر اجتماعية –أيدلوجية جديدة : فالطورالاشتراكي العربي كان مغايرا للطور القومي النخبوي التقليدي، بالقدر الذي كان فيه الطور الماركسي مغايرا للطور الاشتراكي العربي.

ففي الطور القومي التقليدي:كانت" الحركة" "أخوية "قومية نخبوية،تعمل بشكل سري،وتكاد تكون محدودة الحجم تنظيماً ،وليس لهاحضورا سياسياًواضحا، وكانت كوادرها تنحدر من الطبقات العليا في المجتمع(التجار،وكبار الوجهاء، والملاكين).

وجاء الطور الاشتراكي العربي: ليعيد تشكيل الحركة"على أسس إيديولوجيةمختلفة جذرياعن شكلها" الأخوي "المغلق وروحها القومية التقليدية، و يأخذهاباتجاه المد الناصري"لتصبح منظمة اشتراكية عربية ، تتفاعل وتتحرك بين الفئات الوسطى من المجتمع ،وخاصة بعد الإنفصال في سورية عام ١٩٦١.

أما الطور الماركسي : الذي بدأبعد نكسة حزيران ١٩٦٧ ، فقد جذب الكتل الناصرية اليسارية في" الحركة"بشدة باتجاه الماركسية.

كان لحركة القوميين العرب في كل طور من هذه الأطوار منظومتهالأيدلوجية المركزية التي تقود جميع المستويات الأخرى، ففي الطور القومي التقليدي كان السائد هو شعار الأمة، بينما كان شعار الشعب العامل هوالسائد في الطور الاشتراكي العربي،ليعود ويبرزعندها شعار"البروليتاريا"العربية في الطور الماركسي.

المصادر والمراجع:

١. باسل الكبيسي: (١٩٨٥) حركة القومين العرب مؤسسة الأبحاث العربية – بيروت.
٢. جورج حبش: (٢٠١١) الثوريون لا يموتون أبدا،حاوره جورج مالبرينو، ترجمة عقيل الشيخ حسين، دار الساقي، الطبعة الثانية ، بيروت.
٣. سهير سلطي التل: حركة القوميين العر وانعطافاتها الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان بيروت.
٤. غسان شربل: (٢٠٠٨) أسرار الصندوق الأسود، أنيس النقاش_جورج حبش_ كارلوس_وديع حداد، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.
٥. فريد الخازن: (٢٠٠٨) تفكك أوصال الدولة في لبنان ١٩٦٧_١٩٧٦،دار النهار،اترجمة شكري رحيم،الطبعة الثالثة.
٦. محمد جمال باروت وعدة مؤلفين: (١٩٩٧) الأحزاب والحركات القومية العربية، المركز العربي للدراسات التاريخية بإشراف الرئيس علي ناصر محمد، الجزء الثاني سوريا - دمشق.
٧. مقابلة شخصية مع عمر فاضل(رئيس النادي الثقافي العربي) (٢٠٠٤)، أحد القياديين في حركة القوميين العرب،يوم الأربعاء في ٢٩ كانون الأول في منزله في الحمرا - بيروت.
٨. نضال الإمام: (٢٠٠٨) التيارات السياسية في البقاع ١٩٤٣_١٩٧٠، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير /جامعة بيروت العربية/قسم التاريخ، بيروت.
٩. هاني الهندي وعبد الإله النصراوي: (٢٠٠١) حركة القوميين العرب نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١_١٩٦٨، الجزء الأول، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

الهوامش

١. غسان شربل: (٢٠٠٨) أسرار الصندوق الأسود، أنيس النقاش_جورج حبش_ كارلوس_وديع حداد، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ص: ٣٤٨-٣٤٩.
٢. مقابلة شخصية مع عمر فاضل(رئيس النادي الثقافي العربي)، أحد القياديين في حركة القوميين العرب،يوم الأربعاء في ٢٩ كانون الأول ٢٠٠٤، في منزله في الحمرا - بيروت.
٣. محمد جمال باروت وعدة مؤلفين: الأحزاب والحركات القومية العربية، المركز العربي للدراسات التاريخية بإشراف الرئيس علي ناصر محمد، الجزء الثاني،ص ١٢.
٤. هاني الهندي وعبد الإله النصراوي: حركة القوميين العرب نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١_١٩٦٨، الجزء الأول، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ٢٠٠١، ص٦٤.
٥. محمد جمال باروت وعدة مؤلفين: الأحزاب و الحركات القومية العربية، مصدر سابق، ص ٧-٨.
٦. باسل الكبيسي: (١٩٨٥) حركة القومين العرب مؤسسة الأبحاث العربية –بيروت ص:.٣٢
٧. جورج حبش: الثوريون لا يموتون أبدا،حاوره جورج مالبرينو، ترجمة عقيل الشيخ حسين، دار الساقي، الطبعة الثانية ٢٠١١، بيروت، ص .٣٧
٨. باسل الكبيسي: حركة القومين العرب مصدر سابق ص:.٤١
٩. جورج حبش: الثوريون لا يموتون أبدا:مصدر سابق،ص.٥٠
١٠. مقابلة شخصية مع عمر فاضل أحد قيادات حركة القوميين العرب،مصدر سابق.
١١. نضال الإمام:التيارات السياسية في البقاع ١٩٤٣_١٩٧٠، رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير /جامعة بيروت العربية/قسم التاريخ،بيروت ٢٠٠٨،ص٣٧_٣٨_١٦٧.
١٢. باسل الكبيسي: (١٩٨٥) حركة القومين العرب مصدر سابق ص:٥٥
١٣. محمد جمال باروت مصدر سابق ص: .٣٨
١٤. هاني الهندي وعبد الإه النصراوي: مصدر سابق ص:
١٥. فريد الخازن: تفكك أوصال الدولة في لبنان ١٩٦٧_١٩٧٦، دار النهار، اترجمة شكري رحيم، الطبعة الثالثة .٢٠٠٨
١٦. غسان شربل: اسرار الصندوق الأسود، مصدر سابق، ص:١٦٣
١٧. سهير سلطي التل: حركة القوميين العر وانعطافاتها الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان بيروت ص:.٣٨
١٨. غسان شربل : مصدر سابق ، ص: ٣٨١
١٩. محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات القومية العربية، مصدر سابق، ص٥٠.